



مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352

EISSN :6723-2600



نماذج عن التهجير القسري لأعيان مدينة الجزائر من طرف الاحتلال الفرنسي

1830-1833 م.

Examples of the forced displacement of the notables of the city of Algiers by the French occupation 1830-1833 AD.

قارة فاطمة

Kara Fatma

المركز الجامعي مرسلّي عبد الله-تيازة (الجزائر)

karafatma2626@hotmail.com

العربي عمر

Larbi Omar

المركز الجامعي مرسلّي عبد الله-تيازة (الجزائر)

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية

larbi.omar@cu-tipaza.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة لاستعراض الانتباه إلى قضية مهمة خلال السنوات الأولى للاحتلال، ألا وهي قضية تهجير وإبعاد أعيان مدينة الجزائر من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي، فعلى الرغم من أنّ قادة الاحتلال استفادوا من خدمات هؤلاء الأعيان، إلا أنّهم ظلّوا متخوّفين من نشاطهم ومعارضتهم، بل اعتبروهم تهديدًا وخطرًا على بقاء الفرنسيين في الجزائر، لذلك عمدت الإدارة الاستعمارية إلى تهجيرهم خارج الجزائر، ومن أبرز الأعيان الذين مسّهم قرار التهجير والإبعاد (حمدان بن أمين السكة، أحمد بوضربة، حمدان بن عثمان خوجة). وقد هُجّروا إلى فرنسا، وذلك بغية مراقبة نشاطاتهم وتحركاتهم، وهذا دليل على أنّ هؤلاء الأعيان كان بإمكانهم أن يُشكّلوا خطرًا حتى بعد تهجيرهم.

الكلمات الدالة: الاحتلال الفرنسي، التهجير، حمدان بن أمين السكة، أحمد بوضربة، حمدان بن عثمان خوجة.

Abstract

This study aims to draw attention to an important issue during the first years of the occupation, which is the issue of the displacement and deportation of the notables of the city of Algeria by the French occupation administration. And a danger to the survival of the French in Algeria, so the colonial administration proceeded to displace them outside Algeria, and among the most prominent notables who were affected by the decision of displacement and deportation (Hamdan bin Amin al-Sikkah, Ahmed Boudhraba, Hamdan bin Othman Khoja). They were deported to France, in order to monitor their activities and movements, and this is evidence that these notables could pose a danger even after their deportation.

Key words: French Occupation, Displacement, Hamdan bin Amin Al-Sekka, Ahmed Boudhraba, Hamdan bin Othman Khoja.

مقدمة:

بمجرد احتلال الجزائر بدأ قادة الاحتلال الفرنسي في البحث عن سُبُل وآليات تُمكنهم من تحقيق الاستعمار الشامل، غير أنّ هذه المأمورية لن تكون سهلةً في ظلّ وجود جزائريين لهم مواقف وتأثير فكان أعيان مدينة الجزائر يمثلون الطبقة الفاعلة والمؤثرة على سكان مدينة الجزائر، وبما أنّ أعيان مدينة الجزائر تميّزوا بخصوصيات فريدة فإنّ إدارة الاحتلال حاولت استمالتهم والاستفادة من خدماتهم، وبالفعل قدّموا خدمات كبيرة للفرنسيين خلال السنوات الأولى من الاحتلال، غير أنّ موقف جماعة الأعيان من الإدارة الفرنسية سرعان ما بدأ يأخذ منحاً آخر، وذلك تماشيًا مع السياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر، والتي أدّت إلى ظهور مطالب جريئة تحوّلت فيما بعد إلى معارضة، هذه المعارضة جعلت قادة الاحتلال يتخوّفون من ردود فعل الأعيان، لذلك قاموا بتوجيه عدّة اتهامات لهم أدّت في النهاية إلى تهجيرهم خارج الجزائر. ومن خلال هذا نجد أنفسنا على أعتاب الإشكالية التالية:

إلى أيّ مدى شكّل أعيان مدينة الجزائر خطرًا على الاستعمار الفرنسي في الجزائر؟ وهل يمكن أن نعتبر أنّ تهجيرهم خارج الجزائر قد منح الفرنسيين الأمان المطلوب ولو مؤقتًا؟

وإنّ الهدف من هذه الدراسة محاولة تتبّع حيثيات السياسة الفرنسية المنتهجة اتجاه طبقة الأعيان خلال السنوات الأولى للاحتلال، والذين رأت فيهم الإدارة الفرنسية أنّهم يُشكّلون خطرًا على الفرنسيين رغم أنّ جماعة الأعيان قدّمت العديد من الخدمات التي كان قادة الاحتلال في أمسّ الحاجة إليها. وقد اعتمدنا في تناولنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي الذي تخلّله بعض التحليل، لأنّنا بصدد تناول قضية تحتاج إلى الإحاطة بعدّة جوانب، بالإضافة إلى تحليل بعض الأحداث وربطها، حتى نستطيع الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

1. موقف أعيان مدينة الجزائر من الحملة الفرنسيّة:

يعتبر أعيان مدينة الجزائر الطبقة الغنيّة، إذ انحدرت هذه الطبقة من أهل البلاد ومن مهاجري الأندلس الذين فروا بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، ويمكن اعتبارهم سياسيين غير أن دورهم السياسي كان في المرتبة الثالثة بعد الأتراك والکراغلة، وكانوا ضمن فئة النخبة¹ وتميّزوا بالثراء، إذ كانوا مُلاكًا لأراضي شاسعة في سهل متيجة، ولهم أملاك كثيرة في مدينة الجزائر كالمحلات و الحوانيت، وامتحنوا التجارة، والملاحظ عنهم أنّه لم تكن لهم رغبة وطموح في شغل مناصب سياسيّة، غير أنّ الكثير منهم شغل مناصب في القضاء والإفتاء والكتابة ونحوها من المناصب الثانويّة الهامّة، وأمثال ذلك "حمدان بن عثمان خوجة". وكان لهم دورٌ خلال نزول الحملة الفرنسيّة بالجزائر إذ اتّجهوا لنصح الداوي ومُطالبته بالتفاوض مع الفرنسيين، ويبدو أنّ موقفهم كان مشابهاً لموقف أعيان أي بلد آخر يتعرّض لنفس الوضعية، لأنّ مسعاهم كان واضحًا في حماية مصالحهم، فقد بذل كلّ منهم جهدًا كبيرًا في

نصح الداي وحثه على فتح باب الحوار والتفاوض مع الفرنسيين، لكن مطالبهم اصطدمت بمعارضة الانكشارية الذين كانوا مُصرين على المواجهة واعتبروا أنّ موقف الأعيان نابغ من خوفهم لا أكثر، لكن بمجرد نزول الحملة وبداية المواجهة بين القوات الفرنسية والجيش الجزائري اجتمع الأعيان بين الثالث والرابع من شهر جويلية بحصن البحرية ورؤوا ضرورة تجنب الجزائريين مجازر حقيقية، لأنّ المقاومة لم تعد تُجدي نفعاً، ومنه اتفق الأعيان على إرسال وفد إلى الداي مع طلوع الفجر لإقناعه بضرورة التفاوض، ووفد آخر إلى قائد الحملة الفرنسية "دي بورمون"، وقد ترأس "حمدان خوجة" الوفد الذي توجه إلى الداي، ولم يبذل جهداً كبيراً في إقناع الداي، لأنّ القصف لم يتوقّف، وإرهاصات سقوط مدينة الجزائر أصبحت تلوح في الأفق، أمّا الوفد الذي توجه إلى قائد القوات الفرنسية "دي بورمون" فقد كان بقيادة "أحمد بوضربة" و"حسن ابن حمدان خوجة"، وعندما وصلا إلى الجنرال "دي بورمون" وتكلّموا معه، أُصيب بدهشة كبيرة لأنّه وجد من الجزائريين من يُحسن التكلّم باللغة الفرنسية وبطلاقة، ومنه بدأ يُفكر في الاستعانة بهؤلاء الأعيان الذين وجد فيهم الأشخاص المنشودين والذين من شأنهم أن يُساعدوه في تجسيد مشروعه الاحتلالي.²

2. نشاط أعيان مدينة الجزائر بعد الاحتلال:

بعد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر قاموا بتهجير الأتراك والاستغناء عن خدماتهم وأسندوا بعض المناصب الهامة لجماعة الأعيان أو الحضر، فأسند منصب آغا العرب لـ "حمدان بن أمين السكة"³ ومنصب رئيس مجلس بلدية مدينة الجزائر لـ "أحمد بوضربة".⁴

وما تجدر الإشارة إليه أنّ الكثير من المؤرّخين الفرنسيين يتفقون في نقطة واحدة وهي أنّ أعيان وحضر الجزائر كانوا يرغبون في عودة الحكم الإسلامي إلى الجزائر، وذلك خلال السنوات الأولى للاحتلال، وحتى الجماعة التي أبدت استعدادها للتعاون مع السلطات الفرنسية، فبعض الأعيان اتّصلوا بـ "الداي حسين" الذي كان قد هُجر، والبعض الآخر اتّصل بـ "أحمد باي" الذي كان يقاوم الفرنسيين في شرق الجزائر، والبعض اتّصل بالسلطات العثمانية من أجل الحصول على الدعم واشترك الجميع في هدف واحد من خلال تلك الاتّصالات التي قاموا بها وهي التمهيد لعودة الحكم الإسلامي إلى الجزائر، خاصة بعد أن تبادر لأذهان جماعة الأعيان أنّ فرنسا تكبّدت الكثير من الخسائر، وأصبحت تكاليف احتلال الجزائر تزداد يوماً بعد يوم.⁵

وكما أشار "أبو القاسم سعد الله" فإنّ لجنة الحضر أو الأعيان لم يكونوا من فئة المُرابطين ولم يكونوا شيوخاً أو زعامات قبائل، فقط كانت لهم القدرة على المطالبة والمراوغة وحتى المؤامرة إذا اقتضى الأمر رغم افتقارهم للوسائل.⁶ ورغم كلّ هذا ساهم هؤلاء الأعيان في رفع الشكاوي وكتابة العرائض ومخاطبة الرأي العام لعلّهم يجدون بذلك آذاناً صاغية، غير أنّه ما يُعاب على جماعة الأعيان أنّهم انساقوا إلى تنافسٍ عقيم، ممّا انجرّ عنه ضعف الإرادة الصادقة، وتقلّص دورهم وتفرّغوا لصراعاتهم بدّل توحيد الجهود ومجابهة مشاريع الإدارة الفرنسية.⁷

وإنّ المنتبّع لنشاط جماعة الحَضَر أو الأعيان يجد أنّ اعتقادهم في الفرنسيين كان خاطئاً، إذ توقّع أغلبهم أنّ الاحتلال الفرنسي للجزائر لن يطول، وأنّ السياسة الفرنسية لن تضرّ بالجزائريين ليتفاجؤوا بعد مرور السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي بأنّ فرنسا الاستعماريّة جاءت بنيّة البقاء في الجزائر، وبالتالي بدأ أعيان الجزائر يفقدون أموالهم وأراضيهم التي صودرت لصالح أملاك دولة الاحتلال الفرنسية. كما أنّ التجاوزات التي مسّت المساجد والزوايا والمساكين وأصبحت تحت تصرّف الجيش الفرنسي، فتحت أعينهم أكثر، فقد وجد هؤلاء الأعيان أنفسهم أمام حتميّة التعاون مع سلطات الاحتلال الفرنسي والخضوع لها، أو المعارضة التي سينجم عنها تهجيرهم وإبعادهم خارج الجزائر، وهذا ما حدث لأغلب أعيان مدينة الجزائر الذين أبدوا تعاونهم سواءً المباشر أو غير المباشر مع سلطات الاحتلال الفرنسي، فقد كان تهجيرهم خارج الجزائر تحت ذريعة عدم القيام بالواجب المنوط بهم أو تأمرهم ضدّ فرنسا، وسعيهم لاستعادة الحكم الإسلامي في الجزائر، أو الانضمام إلى إحدى المقاومات التي اندلعت في الجزائر رافضةً للتوسّع الفرنسي وسياسته في الجزائر.⁸

3. التهجير الخارجي لأعيان مدينة الجزائر:

لم يكن أعيان مدينة الجزائر بذلك العدد الكبير الذي نجده في بعض المدن الإسلاميّة، إلّا أنّ دورهم كان فاعلاً بعد احتلال مدينة الجزائر، ويبدو أنّ ظروف الاحتلال وأملهم في عودة الحكم الإسلامي للجزائر جعلهم يُبدون تعاونهم مع إدارة الاحتلال الفرنسي، لكن تلك التجاوزات التي قام بها الجيش الفرنسي في الجزائر غيّرت من موقفهم، إذ أصبحوا يميلون للمعارضة ويبحثون عن سُبُل كفيّلة تمكّنهم من التخلّص من الهيمنة الاستعماريّة، وهذا ما جعل إدارة الاحتلال تتخوّف من نشاطهم ومواقفهم، وأخذت تخطّط للتخلّص منهم، فكان التهجير الخارجي لهؤلاء الأعيان الحلّ الأنسب لإبعاد خطرهم عن الفرنسيين. وسنحاول أن نستعرض أهمّ الشخصيّات التي كانت ضمن جماعة الأعيان وتمّ تهجيرها.

1.3. تهجير حمدان بن أمين السكّة إلى فرنسا:

كان "حمدان بن أمين السكّة" المدعو "بوركايب" قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر يشغل منصب أمين السكّة، وهو من المناصب الحسّاسة، إذ كان مسؤولاً عن ضرب النقود بمقادير مضبوطة، وذلك تبعاً لحاجيات الإيالة، وكان بحوزته 60 رطلاً من الذهب اشتراها بنفسه ليودّعها في خزانة الإيالة ويأخذ مقابلها مالاً، في حين أنّ خزانة الدولة كانت تحتوي من قبل على 10 أرطال من الذهب.⁹ وهنا نلاحظ تلك الصلاحيات الممنوحة لـ "حمدان بن أمين السكّة" والتي تجعله أميناً على أهمّ مؤسسة في إيالة الجزائر. وبعد احتلال الجزائر تم استدعاؤه من طرف قائد القوات الفرنسيّة "دي بورمون"، وبعد نقاشات مطوّلة أراد القائد العام أن يستفيد من خدمات "حمدان بن أمين السكّة" خاصّةً وأنّه كان يُحسّن التكلّم باللغة الفرنسيّة وله دراية بالإدارة.

1.1.3. تعيين حمدان بن أمين السكّة آغا العرب:

بعد الحملة الفرنسية على الجزائر كان "حمدان بوركايب" يعيش حياة بؤس بسبب إفلاسه، لأن سياسة النهب المنتهجة من طرف الجنود الفرنسيين أدت إلى إفلاس أغلب سكان مدينة الجزائر، وكان "حمدان بن أمين السكة" يرغب في تعويض ما خسره أثناء نزول الحملة، ويبدو أن قربه من "أحمد بوضربة" قد عاد عليه بالفائدة، إذ توسّط هذا الأخير لـ "حمدان بوركايب" لدى "دي بورمون" فمنحه منصب آغا العرب بتاريخ 8 جويلية 1830 م. ويذكر بعض الفرنسيون أنه أثناء قيامه بالمهام المسندة إليه، لم يكن قادراً على تحمّل المسؤولية، رغم أن الجزائريين لم ينتظروا منه الكثير، إذ تميّز بالجشع وخدمة مصالحه الخاصة، فكان هدفه الوحيد جمع الأموال، حتى أثّـم بأنه كان مستعداً لبيع خدماته لكل من كانت لهم مصالح لديه. غير أن هذه الصورة الغير مُشْرِفة عارضها ونفاها مؤرّخ آخر يدعى "بول أودال" "Paul Eudel"، إذ قدّم لنا صورةً مخالفةً تماماً لما ذهب إليه "بيليسي دي رينو" فيرى "بول أودال" أن "حمدان بوركايب" كان إنساناً محترماً يتميّز بذكاء كبير، كما أن وضعيته المالية كانت جيّدة ولم يكن في حاجة لأخذ أموال غيره، واعتبره مسؤولاً ملتزماً بمهامه، بعيداً عن كل مظاهر الفساد.¹⁰

وبعد أن تمّ تعيين "حمدان بن أمين السكة" آغا للعرب من طرف الجنرال "كلوزيل"، اصطحبه معه خلال حملته على المدينة، وبما أن "حمدان بن أمين السكة" كان على اطلاع بما يحدث في المناطق القريبة من العاصمة، قدّم تقريراً عن "مصطفى بومزراق"، واعتبره بأنه مارس سلوكات تعسّفية ضد سكان البايك، وبالتالي فإن المراسلات التي كتبها "حمدان بن أمين السكة" آغا العرب قد أفادت الفرنسيين كثيراً، وساعدت في تجهيز حملة عسكرية على المدينة.¹¹

غير أن ما تؤكّده أغلب الكتابات التي تناولت "حمدان بوركايب"، هو أنه كان متورّطاً في عدّة قضايا مشبوهة خلال فترة تولّيه لمنصب الآغا، وكان يميل إلى أفكار صديقه "بوضربة" حول عودة الحكم العثماني.¹² وفق المنظور الفرنسي، وهذا ما سيجعل الإدارة الفرنسية تتخوّف منه وتُشكّك في ولائه، بل حتى أنها قامت بمراقبة كل تحركاته ولقاءاته.

2.1.3. مصادرة أملاك حمدان بن أمين السكة وتهجيره إلى فرنسا:

إنّ تولّي منصب آغا العرب تحت سلطة الفرنسيين لم يكن بالأمر الهين، و"حمدان بن أمين السكة" كان يدرك ذلك تماماً، وهذا ما جعله يتعامل بكلّ حذر مع الجزائريين، وقد عجز في كثير من الأحيان في التعامل مع عدّة قضايا واجهته، لأنّ الأوضاع بشكل عام لم تكن تشهد أيّ استقرار، سواء داخل العاصمة أو خارجها، وبعد خروج "كلوزيل" في حملته على المدينة ترك زمام الأمور في يد آغا العرب "حمدان بن أمين السكة"، غير أن هذا الأخير فشل في فرض الاستقرار في الإقليم الممتد بين المدينة والجزائر العاصمة، إذ كاد المقاومون الجزائريون أن يقضوا على الحامية الفرنسية المتواجدة في البليدة، وبمجرد عودة "كلوزيل" إلى العاصمة حتى قام بعزل آغا العرب من منصبه بتاريخ 7 جانفي 1831 م. ولم يكتفي "كلوزيل" بذلك بل وجّه له عدّة تهم من بينها عدم تسديد الديون المتراكمة عليه بالإضافة إلى اتهامه بالتقاعس عن أداء مهامه¹³ هذا ما جعل إدارة الاحتلال تلقي القبض على "حمدان بن أمين السكة" وتضعه في السجن، ولم يخرج

منه إلا بعد أن دفع غرامة قُدِّرَت بـ 132000 فرنك.¹⁴ كما قامت إدارة الاحتلال الفرنسي بالاستيلاء على بعض أملاكه، ففي هذه الأثناء كانت السلطات الاستعماريّة تقوم بعملية مصادرة شاملة لممتلكات الجزائريين وتحويلها إلى صالح الجيش الفرنسي. وإنَّ "حمدان بن أمين السكّة" تعرّض بدوره إلى عملية مصادرة، ووجد نفسه أمام القضاء الفرنسي بعد التّهم التي ألصقت به حول حيازة أملاك بصورة غير قانونيّة، وحُكِمَ عليه بتاريخ 29 مارس 1831م بغرامة ماليّة قُدِّرَت بـ 10000 بوجو، وبتاريخ 25 أفريل من نفس السنة تمّ استدعاؤه من طرف الإدارة الفرنسيّة للتوجّه إلى باريس، بالقرب من مجلس الدولة لمتابعة المحاكمة المتعلّقة باسترداد بعض أملاكه بما فيها الأموال، غير أنّ الأمر الذي أُرهِق "حمدان بن أمين السكّة" هو تلك المحاكمات التي كانت بينه وبين "سلمون" "Silmon"، الذي كان في خلاف مع "حمدان بن أمين السكّة" حول بعض الأملاك والعقارات، إذ أجبر هذا الأخير "حمدان بن أمين السكّة" على دفع مبلغ قُدِّرَ بـ 32000 فرنك، في المرّة الأولى، أمّا في المحاكمة الثانية فقد أجبره على دفع 9000 فرنك.¹⁵ أنظر الملحق رقم 01. وفي سنة 1832م قام الدوق "دوروفيغو" بإصدار قرار يقضي بتهجير "حمدان بن أمين السكّة" إلى فرنسا متّهمًا إياه بأنّه يخطّط لعودة الحكم الإسلامي إلى الجزائر، وهذا وحده كفيّل بأن يهدّد بقاء الاحتلال الفرنسي بالجزائر. وقد هُجِّرَ "حمدان بن أمين السكّة" على السفينة الحربيّة الفرنسيّة المتّجهة إلى فرنسا، وعند وصوله إلها أرغمه الدوق "دوروفيغو" بالبقاء في باريس وعدم مغادرتها¹⁶ ولم تطل إقامة "حمدان بن أمين السكّة" في باريس حتى تزوّج للمرّة الثالثة من ابنة أحد القناصل الفرنسيين، وكانت زوجته تُدعى "جوزيفين زابل".¹⁷

ويبدو أنّ المعاناة والمتاعب التي كابدها "حمدان بن أمين السكّة" في الجزائر خاصّةً بعد أن تعرّض للتهجير، جعلته يُفكّر في الاستقرار وتأسيس أسرة في منفاه، وبقيّ مقيمًا في باريس بعد أن تأكّد من استحالة عودته إلى الجزائر، إلى أن توفيّ سنة 1834م.¹⁸

ومنه يمكن القول أنّ "حمدان بن أمين السكّة" كان أوّل أعيان مدينة الجزائر الذين مسّهم قرار التهجير والإبعاد.

2.3. تهجير أحمد بوضربة :

ومن بين الأعيان الذين تعرّضوا للتهجير القسري والإبعاد خارج الجزائر، "أحمد بوضربة" الذي كان من أهم الشخصيات الفاعلة في إدارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر.

1.2.3. علاقة أحمد بوضربة بالفرنسيين:

يُمثّل "أحمد بوضربة" نموذجًا من طبقة الحضر وأعيان مدينة الجزائر، وينتمي في الأصل إلى طبقة المهاجرين الأندلسيين الفارين بعد سقوط غرناطة 1492م، ويدعى أيضًا "المشجوج"، وتسمية "بوضربة" تعود إلى جدّه الذي بارز فارسًا مسيحيًا فتعرّض لضربة في أنفه وأصبح يحمل ندبةً على أنفه فأُطلقت عليه تسمية "بوضربة". والحفيد "أحمد" أخذ تسمية "بوضربة" عن جدّه.¹⁹

وقد حظي "أحمد بوضربة" بثقة القائد العام للحملة "دي بورمون"، الذي عينه على الفور عضواً في البلدية. وساهم "أحمد بوضربة" -الذي تعود أصوله للأندلسيين- في تهجير وإبعاد الأتراك فقد كان يُكِنّ لهم الكثير من الحقد والبُغض، إذ حدّر "دي بورمون" أكثر من مرة وأوهمه أنّهم يُشكّلون خطراً على الفرنسيين. و"بوضربة" كان يعرف جيّداً كيف يتعامل مع الفرنسيين، فقد تميّز بفكرٍ رزين وسلوكٍ مرموقٍ، من خلال هذا استطاع المحافظة على مكانته، سواءً مع "دي بورمون" أو "كلوزيل" القائد الجديد وخليفة "دي بورمون". إنّ أفكار "أحمد بوضربة" كانت تتّجه إلى الاستقلالية والانسياق إلى تبني الحكم الذاتي، غير أنّ ممارسات القادة المتعاقبين على الجيش الفرنسي جعلته يتراجع على طموحه وينضمّ إلى فكرة عودة الحكم الإسلامي.²⁰

إنّ تعاون "أحمد بوضربة" مع الفرنسيين سهّل الكثير من الأمور على القائد "دي بورمون"، الذي كان يجهل العديد من الأمور عن إدارة الداوي وأسرار دولته، وبوجود "بوضربة" الذي كان يعرف العاصمة والقصة معرفةً جيّدة، سوف تُحلّ مشاكل الفرنسيين. ومن المعلومات المهمة التي كانت عند "بوضربة"، أنّه كان على علمٍ بوضعية الخزينة ومكان تواجدها، والكثير من الأمور الأخرى. ومن المؤكّد أنّ "بوضربة" لم يعرض خدماته دون مقابل فالقضية كلّها مبنية على مبدأ الأخذ والعطاء، ورغم أنّ "بوضربة" كان يريد زوال سلطة الأتراك وإقامة سلطة محلية يكون رئيسها، غير أنّه كان رافضاً لسيطرة الفرنسيين ومتخوفاً منهم.

ولقد خلّص الاتفاق المبرم بين "أحمد بوضربة" وقائد الحملة الفرنسية "دي بورمون"، إلى الاتفاق على مجموعة من النقاط، وإبقاء مخرجات الاتفاق في إطارٍ تحفظي. وهناك ثلاثة جوانب تمّ تناولها:

الشقّ الماليّ، ويقضي بالسماح لـ "بوضربة" بالاستيلاء على الخزينة، ومساعدته في ذلك أمر لا مناص منه.

الشقّ السياسي، نظراً إليه على المديّين البعيد والقريب، أما المدى البعيد يقضي بتشكيل حكومة مورسكية في الجزائر، بديلة عن حكومة "الداوي حسين"، وعندما تستقرّ الأوضاع تنسحب الجيوش الفرنسية التي كانت مهمتها مساعدة الحكومة الجديدة، وذلك بعد فتح علاقات وطيدة بين الحكومة الجديدة في الجزائر وفرنسا، وقد كان "دي بورمون" يسعى لتطبيق ما تمّ الاتفاق عليه، ومع نهاية شهر جويلية نصّب "دي بورمون" الحكومة المحلية المورسكية، وألحق بها ممثّلين عن اليهود، وكان "أحمد بوضربة" هو رئيس الجهاز الحكومي والمشرف عليه.²¹

بعد أن أثبت "أحمد بوضربة" أنّه شخصيّة جزائريّة فاعلة ومؤثّرة، وجد لنفسه موطئ قدمٍ في الإدارة الاستعماريّة بالجزائر، واستطاع أن يقدّم حلولاً ومطالب ازدادت حدّتها تماشيّاً والسياسة الفرنسيّة المُنتهجة في الجزائر، ويبدو أنّ المطالب الجديّة التي تقدّم بها جعلت قادة الاحتلال في الجزائر ينظرون إليه بنظرة يسودها الحذر والتخوّف من تصاعد مطالبه السياسيّة، كما أنّ دفاعه عن الجزائريين بدأ يأخذ

منحًا آخر، خاصةً مع ظهور مقاومة "الأمير عبد القادر" في غرب الجزائر، إذ أشارت بعض المصادر الفرنسية إلى أنّ "أحمد بوضربة" كان من أكبر المتحمسين والداعمين لمقاومة "الأمير عبد القادر"، خاصةً وأنه كان مُعارضًا لفكرة عودة الحكم العثماني إلى الجزائر، أو بقاء الفرنسيين فيها. فـ"أحمد بوضربة" كان يؤسّس لمشروع يقضي بإقامة نظام سياسي جزائري بحت، حتى وإن لم يكن على رأسه، فيكفيه أن يكون فاعلاً فيه لا أكثر، ورأى في "الأمير عبد القادر" خير نموذجٍ لذلك، وهذا ما جعله يدعم مقاومته.

وإنّ المبادرات التي أقدم عليها "أحمد بوضربة" كانت في غالب الأحيان تتأرجح بين جانبيين أولهما تحقيق مآربه وطموحاته الشخصية كالحصول على مناصب حسّاسة قد ترتقي به إلى حكم الجزائر وإدارة شؤونها، أمّا الجانب الثاني فكان منحصرًا في الدفاع عن مصالح أبناء وطنه، ويبدو أنّ هذا ما سيؤثّر على علاقته بالفرنسيين الذين بدؤوا يُشكّكون في ولائه لهم، ويتهمونه بموالاة الجزائريين والعمل لصالح المقاومة الجزائرية. خاصة بعد تأكيد رغبته الشديدة في إقامة نظام حكم يشرف عليه جزائريون فقط.²² وهذا ما أدّى إلى عزله وتضييق الخناق عليه، وبمجرّد تعيين الدوق "دوروفيغو" قائدًا عامًا للقوات الفرنسية بالجزائر، اتّصل به "أحمد بوضربة" بتاريخ 12 فيفري 1832 م، وأوضح له أنّه خدّم السلطة الفرنسية منذ الأيام الأولى من الاحتلال، وكان الهدف من هذه المراسلة محاولة نيل الحُظوة من القائد الجديد للقوات الفرنسية.²³ لكن مساعي "أحمد بوضربة" فشلت، فقد وجّهت إدارة الاحتلال الفرنسي مجموعة من التّهم له، من بينها أنّه تزعم لجنة المغاربة التي كانت تعمل من أجل عودة الحكم الإسلامي إلى الجزائر، بالإضافة إلى أنّه كان إلى جانب العرب والقبائل، وهذا ما جعل القائد العام يضعه تحت الرقابة، فقد كانت الشرطة العسكرية تراقب كلّ تحرّكاته ولقاءاته، فقد اعتبره الفرنسيون حلقةً مخيفةً ضدّ المصالح الاستعمارية الفرنسية في الجزائر. وبعد مشاورات بين قادة الاحتلال اجتمعوا حول فكرة واحدة مفادها أنّ "أحمد بوضربة" يشكّل خطرًا على الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وأصدرت إدارة الاحتلال قرارًا بتهجيره إلى فرنسا ولم يتقبّل "أحمد بوضربة" قرار التهجير القسري الذي لحق به، واعتبره إجحافًا في حقّه. وقد عبّر "حمدان خوجة" عن عزل "بوضربة" وتهجيره بقوله: «... وعلى الرغم أنّي لا أنفاهم مع أبي ضربة فإنّني أنصفه عندما أقول بأنّ الاتهامات الموجهة له خاطئة، إنّه لم يكن أبدًا إلى جانب العرب والقبائل ضدّ الفرنسيين، إنه لمن المدهش أن يصدّق السادة الولاة الأكاذيب، وأكثر من ذلك دهشة أن يطالب أبو ضربة بالعدالة ولا يحصل عليها في بلد كفرنسا...» وبمجرّد وصوله إلى فرنسا طلب العدالة من الحكومة والبرلمان الفرنسي، أملًا أن يحصل عليها في فرنسا، لكن مساعيه خابت وآماله قوّضت أمام تعنّت الحكومة الفرنسية، وعدم المبالاة بقضيّته.²⁴

ولم يحصل "أحمد بوضربة" على العدالة أو العفو من طرف الدولة الفرنسية بسبب ذلك التقرير الذي كتبه الدوق "دوروفيغو" وأرفقه بوثيقة تهجيره، فقد أورد فيها أنّ "بوضربة" كان يُحضّر رفقة الجزائريين وبعض الأندلسيين المقيمين في الجزائر إلى القيام بمقاومة ضدّ الفرنسيين، خاصةً بعد أن كانت جميع الأدلّة تُشير إلى دعمه للمقاومة الجزائرية.²⁵

3.3. تهجير حمدان بن عثمان خوجة:

يُعتبر "حمدان بن عثمان خوجة" من أبرز أعيان مدينة الجزائر، فقد تقلّد عدّة مناصب في إيالة الجزائر، وكان له دورٌ فاعل بعد الاحتلال الفرنسي.

1.3.3. علاقة حمدان بن عثمان خوجة بإدارة الاحتلال الفرنسي:

بمجرّد نجاح الحملة الفرنسيّة على الجزائر، حظيَ بمكانةٍ خاصة لدى الفرنسيين، إذ رأى قائد الحملة الفرنسية أن يُبقي حمدان خوجة" في نفس المناصب التي كان يشغلها، فقد قاد هذا الأخير المشاورات التي بدأها الداوي مع الفرنسيين، بالإضافة إلى تمكّنه في اللغة الفرنسيّة، وهذا ما دفع بالسلطات الاستعماريّة تعيينه في مجلس بلديّة الجزائر وأوكلت له مهمّة الإشراف على الأوقاف والحبوس. كما كُلف بإجراء مفاوضات مع اليهود، وبالتالي أصبح "حمدان بن عثمان خوجة" همزة وصل بين الجزائريين والإدارة.

كما أوكلت له مهمّة الاتّصال بزعماء المناطق التي لم تتمكن القوات الفرنسية من السيطرة عليها. وقد قاد اتصالات مع "أحمد باي" وباي التيطري "بومزراق"، كما كانت له العديد من المراسلات مع الأمير "عبد القادر" وبقيّ على اتصال معه حتى تمّ تهجيره إلى باريس.²⁶

فعلاقة "حمدان بن عثمان خوجة" مع الفرنسيين طبع عليها الجانب المصلحي، فقد استفادت الإدارة الفرنسيّة من مكانة "حمدان خوجة" سواءً الاجتماعيّة أو العلميّة والثقافيّة، وحاولت أن تجعل منه بمثابة مساعدٍ في إدارة شؤون الجزائر، وفي نفس الوقت استغلّ "حمدان خوجة" هذه المكانة التي أصبح يحظى بها عند الفرنسيين ووظّفها في خدمة أبناء وطنه، حيث كان بمثابة لسان حال الجزائريين، كونه رافضاً ومعارضاً للظلم والجور الذي أصبح يعانيه الجزائريّون على يد المحتل الفرنسي، ولم يتوانى في تسجيل الأعمال التعسفيّة والجرائم المرتكبة من طرف الجيش الفرنسي، وما زاد من سخط ونقمة "حمدان خوجة" إدراكه أنّ الأعمال والتجاوزات التي كان يقوم بها الفرنسيون نابعة من تخطيط وتدبير اليهود.²⁷ وهذا كان قلماً سيّلاً، فمكانته ومناصبه التي يشغلها تحت سلطة الاحتلال الفرنسي لم تمنعه من توجيه انتقادات لاذعة للسياسة الفرنسيّة في الجزائر، فدوره كان محوريّاً، غير أنّ هذا الدور كان من وراء الستار.²⁸

2.3.3. تهجير حمدان بن عثمان خوجة خارج الجزائر:

اجتمعت عدّة أسباب ساهمت سواءً بشكل مباشر أو غير مباشر في تهجير وخروج "حمدان خوجة" من الجزائر، ويأتي على رأسها التهمة التي وُجّهت له من طرف أرملّة الأغا "يحي"، إذ اتّهمته بأنّه طلب منها مبلغاً ماليّاً حتى يمنع إرسال ابنها إلى فرنسا.²⁹

فقد طلب قائد القوات الفرنسية بالجزائر "الجنرال كلوزيل" من أعيان مدينة الجزائر تقديم 50 شاباً من أبنائهم ليتمّ إرسالهم إلى فرنسا، بغية تعليمهم اللغة الفرنسيّة، لكن حسبما ذهب إليه "حمدان

بن عثمان خوجة" فإنّ "كلوزيل" كان يرمي إلى أخذهم كرهائن، ويتّخذهم كوسيلة للضغط على الجزائريين.

كما أنّ الخلاف الذي كان بين "حمدان خوجة" و"بوضربة" أضرب به، فكثيراً ما حرّض "بوضربة" الفرنسيين على "حمدان خوجة"، وما زاد من نعمة الفرنسيين عليه تدخله المستمر لصالح "ابن العنابي" الذي صوّرت أملاكه وصدر في حقّه قرار التهجير خارج الجزائر، وبما أنّ "حمدان خوجة" عُرف بنضرتة السلبية لليهود، فإنّهم لم يدّخروا أيّ جهدٍ في توجيه عدّة اتهامات له، خاصةً بعد أن أبدى معارضته الشديدة لتلك الانتهاكات التي مسّت المؤسسات الدينية، وعلى رأسها المساجد والزوايا وغيرها، وهذا ما جعل السلطات الاستعمارية تُبدي امتعاضها ونقمتها على "حمدان خوجة" ومواقفه المعارضة للسياسة الفرنسية في الجزائر. وربما هذه التهم سابقة الذكر كلّها مجتمعةً لم تؤثر على "حمدان خوجة" بقدر ما أثّرت عليه التهمة الموجهة له من قبل الفرنسيين، إذ اتهموه بأنّه يقوم بدعاية واسعة ويحرّض الجزائريين ضدّ الفرنسيين، خاصةً بعد الهزيمة التي مُنيت بها القوات الفرنسية بالمدينة. وكان لهذا الموقف الأثر الكبير في عزله من الوظائف التي أُسندت له وكُلّف بها.³¹

وقد اعتبّر "حمدان خوجة" أنّ هذه الوظائف قبلها على مضض فلم يكن يريدّها، لأنّه كان يدرك بأنّ الإدارة الاستعمارية سوف تزجّ به في متاهات يصعب الخروج منها، لذلك اعتبر أنّ قرار عزله كان أخفّ وطأةً عليه، إذ يقول في هذا الصدد: «... كان برداً وسلاماً...»³² فقرار العزل كان من طرف "الجنرال كلوزيل" الذي كان يرى في "حمدان خوجة" أنّه يُشكّل خطراً على مصالح الاستعمار الفرنسي في الجزائر، غير أنّه لم يُقمّ بتهجيره وإبعاده من الجزائر، لكن بعد أن تولّى الدوق "دوروفيغو" إدارة الجزائر، اتّسمت علاقته مع "حمدان خوجة" بالتقارب وكلفه بعدّة مهام، لكن هذه العلاقة لم تدُم طويلاً وسرعان ما توتّرت بين الجنرال "دوروفيغو" و"حمدان خوجة"، وبعد مشاورات بين القادة الفرنسيين أصدر الدوق "دوروفيغو" قراراً يقضي بتهجير وإبعاد "حمدان خوجة" من الجزائر، وكانت باريس عاصمة فرنسا هي المكان الذي سيُهجّر إليه. والهدف من إبعاده إلى فرنسا بقاؤه تحت المراقبة الفرنسية وخضوعه لعدّة محاكمات، لأنّ اليهودي "بكري" قد زجّ به في قضايا مالية شائكة، ممّا جعل "حمدان خوجة" مجبراً على الوقوف باستمرار أمام مجلس الدولة في فرنسا. وكان وصول "حمدان بن عثمان خوجة" إلى باريس في شهر ماي من سنة 1833 م.³³

ويبدو أنّ "حمدان خوجة" كان يُدرك تماماً أنّه سيلقى نفس المصير الذي لقيّه "الداي حسين" وبايات الجزائر وبعض علماء وأعيان الجزائر، لأنّ السياسة الفرنسية كانت متّجهة منذ الوهلة الأولى للاحتلال إلى إبعاد وتشريد كلّ الشخصيات الجزائرية الفاعلة والمؤثّرة في أوساط الجزائريين. غير أنّ صدور قرار التهجير في حقّ "حمدان خوجة" لم يكن بمثابة نهاية نشاط هذا الأخير، بل بدأ نشاطاً آخر ولم يمنعه قرار الإبعاد والتهجير من الدفاع عن القضية الجزائرية، فقد كان حريصاً أشدّ الحرص على نقل معاناة وانشغالات أبناء وطنه.

إذاً من خلال استعراضنا لأهمّ ثلاث شخصيات من أعيان الجزائر يتّضح لنا أنّ إدارة الاحتلال الفرنسي تسبّبت في تهجير وبعثرة وتشتيت أعيان الجزائر، إذ يقول "أبو القاسم سعد الله" في هذا الصدد: «...فكانت هذه الإدارة قد تسبّبت في بعثرة أعيان الجزائر، وأدّت إلى هجرة أو تهجير العديد من العلماء والأعيان...»³⁴ وكان على رأسهم "حمدان بن أمين السكّة" (بوركايب)، و"أحمد بوضربة" و"حمدان بن عثمان خوجة"، هؤلاء الشخصيات من أبرز أعيان مدينة الجزائر.³⁵ ويبدو أنّ الإدارة الفرنسيّة كانت تبحث عن استقرار نسبيّ، وبطبيعة الحال لن يتأتّى لها ذلك إلّا بعد أن تُبعد أبرز وجوه المعارضة السياسيّة والفكريّة، لكن إدارة الاحتلال الفرنسي أغفلت عن جانبٍ مهم وهو أنّ المعارضة والمقاومة لم تنحصر في الأعيان فقط، بل قادها زعامات القبائل ومشايخ الطُرق الصوفية وغيرهم وبالتالي يمكن القول أنّ المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسيّ ساهم فيها كلّ الجزائريّون بدون استثناء وهذا ما شكّل أكبر التحديات للمستعمر الفرنسي.

4. خاتمة:

لقد نوّعت إدارة الاحتلال الفرنسي في سياستها وأساليبها الاستعماريّة، فانتهجت عدّة طرق بُغية إخضاع الجزائريين والتضييق عليهم، وذلك منذ السنوات الأولى للاحتلال، وكان أعيان مدينة الجزائر أوّل من تعرّض للإجراءات القمعيّة الفرنسيّة، إذ تمّ تهجيرهم وإبعادهم خارج الجزائر، فقد أُبعد كلّ من "حمدان بن أمين السكّة" و"أحمد بوضربة" و"حمدان بن عثمان خوجة". وكانت إدارة الاحتلال الفرنسي ترمي من وراء تهجيرهم إلى التخلّص من نشاطهم ومعارضتهم، فبقاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر مرهونٌ بإبعاد كلّ جزائري من شأنه أن يُشكّل خطراً عليهم.

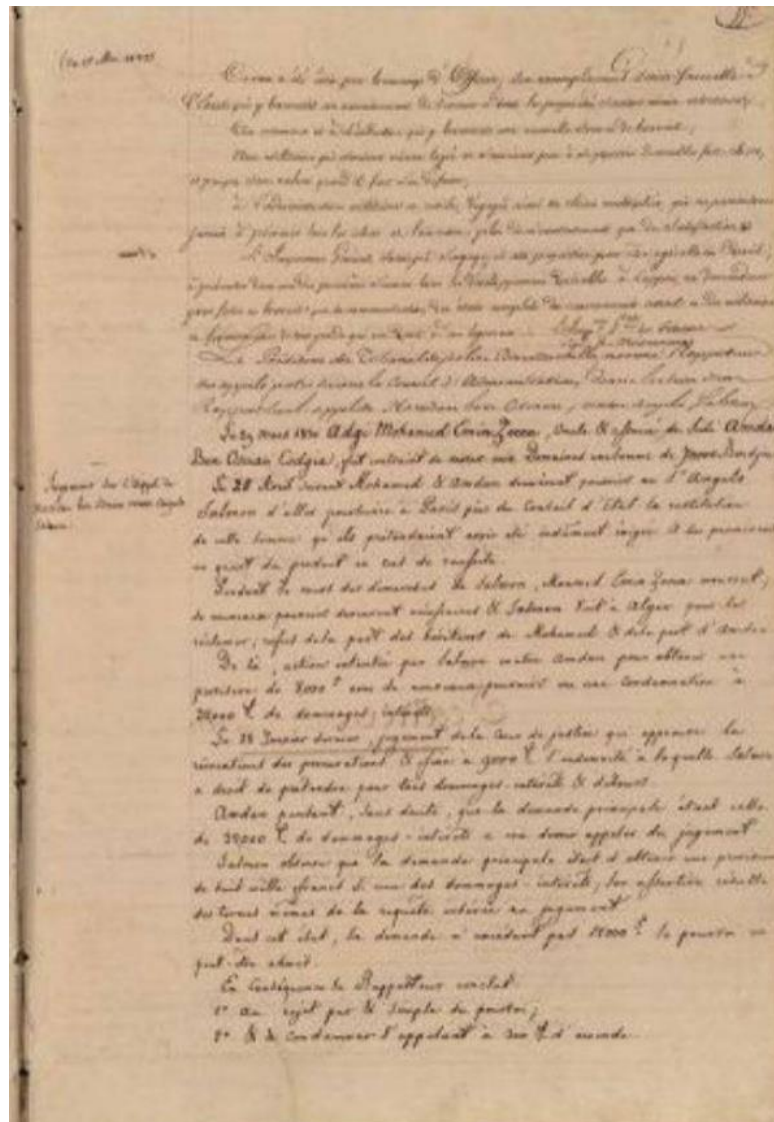
والملاحظ على إدارة الاحتلال الفرنسي أنّها قامت بتهجير وإبعاد أعيان مدينة الجزائر إلى فرنسا، حتى يتسنى لها إبقاؤهم تحت الرقابة وتشديد الخناق عليهم، لكي لا يكون لهم نشاط من شأنه أن يُشكّل تهديداً للاحتلال الفرنسي.

وما تجدر الإشارة إليه أيضاً أنّ تهجير جماعة الأعيان سوف تتبعه عمليّات تهجير أخرى لم يسلم منها لا العلماء ولا الفقهاء ولا قادة المقاومات المسلّحة.

5. الملاحق:

الملحق رقم 01: وثيقة توضح مصادرة أملاك "حمدان بن أمين السكّة" وتهجيرهم.

المصدر: G G A . 8 M8/Dossier n° 163



6. المراجع:

- ¹ - النخبة، مصطلح النخبة حسب "جيوفاني" يُطلق على الأقلية التي تشغل مراكز عليا في مجتمعتها، والتي غالبًا ما تدعي حق إدارة المجتمع أو الجماعة التي تنتمي إليها، وهذه الإدارة تستمدّها من مكانتها وقوّتها في أوساط المجتمع، أنظر، مولود قرين، النخبة الجزائرية مرجعيّات، تيارات، مواقف واهتمامات 1892-1927، ط1، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2001م، ص 22.
- ² - عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، تر لحسن زغدار، د ط، دار ثالة، الجزائر، 2008م، ص ص 236، 237.
- ³ - أمين السكة، هو الموظّف الذي يسهر على مراقبة ضرب النقود وتقدير قيمة المجوهرات وتحديد الاحتياجات المالية للإيالة، يساعد في هذه المهمة عاملين وغالبًا ما يكونان من اليهود، إذ يمثّلان وزير المالية، أنظر، عمار عمورة، الجزائر بؤابة التاريخ (ماقبل التاريخ إلى 1962 الجزائر الخاصة)، ج 2، د ط، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص 139.

- ⁴ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط 1، " الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م، ص 65، 66.
- ⁵ - بيليسي دي رينو، أخبار الجزائر، ج 1، ط 2، د ن، باريس، 1854 م، ص 172.
- ⁶ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 67.
- ⁷ - جمال بلفرد، حول نُخب الحركة الوطنية 1830-1954، مجلة المصادر، ع 27، الجزائر، 2016، ص 128.
- ⁸ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 66.
- ⁹ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تق وتغ وتغ محمد العربي الزبيري، د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (ANEP)، الجزائر، 2006 م، ص 179.
- ¹⁰ - عمار حمداني، المرجع السابق، ص 206، 207.
- ¹¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 215.
- ¹² - عمار حمداني، المرجع السابق، ص 207.
- ¹³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 220، 221، 256.
- ¹⁴ - حميدة عميراي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)، ط 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1407 هـ/1987 م، ص 229.
- ¹⁵ - G G A . 8M 8/Dossier n° 163.
- ¹⁶ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 188، 221.
- ¹⁷ - عمار حمداني، المرجع السابق، ص 207.
- ¹⁸ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 188.
- ¹⁹ - عمار حمداني، المرجع السابق، ص 205.
- ²⁰ - عمار حمداني، المرجع السابق، ص 206.
- ²¹ - عمار حمداني، المرجع السابق، ص 239-241.
- ²² - حميدة عميراي، المرجع السابق، ص 156.
- ²³ - حميدة عميراي، المرجع السابق، ص 112.
- ²⁴ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 255.
- ²⁵ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين 1830-1954، تر محمد المعراجي، د ط، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2008 م، ص 37.
- ²⁶ - محمد الطيب عقاب، حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، د ط، منشورات وزارة الثقافة، 2007 م، ص 33-36.
- ²⁷ - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 37.
- ²⁸ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 79.
- ²⁹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 80.
- ³⁰ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 256.
- ³¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 80.
- ³² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 257.
- ³³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 80، 81.
- ³⁴ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ط خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص 357.
- ³⁵ - سهيل الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، ط 1، شبكة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1417 هـ/1997 م، ص 7.